"عظماء خالدون"

من سن: ١٠ - ١٤

عمر بن الخطاب

رضى اللهُ عنه



سفير

"عظماء خالدون"

من سن ١٠ : ١٤

عمر بن الخطاب

رضى الله عنه



إعداد

سامى عبد الرؤوف

رسوم

إسماعيل دياب

رقم الإيداع : ٨٩٣٩ / ٩٥ الترقيم الدولى : ISBN: 977 - 261 - 452 - 9

أكملَ أميرُ المؤمنينَ غداءَهُ، وحمدَ اللهَ تعالى، ثُمَّ نظرَ إلى الرجلِ الذى جلسَ بجوارِهِ ليحدِّثَهُ عن حاجتِهِ فقالَ الرجلُ:

- أنا رسولُ القائدِ « سلمةَ بنِ قيسٍ الأشجعىِّ » فى شمالىِّ « العراقِ ».

- مرحبًا بسلمةَ بنِ قيسٍ ورسولِهِ، حدِّثنى عنِ المسلمينَ، وكيفَ حالُهم ؟ فأجابَهُ:

- هم بخيرِ حالٍ يا أميرَ المؤمنينَ:

فسألَهُ عمَّا أرسلَهُ بِهِ «سلمةُ »، فقالَ الرجلُ:

- لقينا عدوَّنا من مشركى الأكرادِ بشمالىِّ « العراقِ »، فدعوناهُم إلى الإسلامِ؛ فأَبَوا، وإلى الجزيةِ فأَبَوا، فقاتلناهُم، فنصرَنا اللهُ عليهِم، وقدْ جمعَ « سلمةُ » المتاعَ، بعدَ أنْ قسَّمَ الغنائمَ على الجنودِ، فوجدَ صندوقًا صغيرًا من الجواهرِ، فقالَ للناسِ:

- إنَّ هذهِ الجواهرَ لو قُسِّمَتْ فيكم ما استفادَ منها أحدٌ، فهل تطيبُ أنفسُكم أنْ أبعثَ بها إلى أميرِ المؤمنينَ فهوَ أحوجُ إليها منَّا؟

فقالوا: نعم.

وأخرجَ الرجلُ صندوقَ الجواهرِ ووضعَهُ أمامَ أميرِ المؤمنينَ، فلمَّا أمسكَهُ ونظرَ إلى الجواهرِ تغيَّرَ وجهُهُ، وظهرَ الغضبُ عليه، وهبَّ واقفًا بعدَ أنْ دفعَ الرجلَ بيدِهِ وأعادَ إليهِ الجواهرَ، ونادَى على خادمِهِ:

- أعطِهِ دابتينِ منْ إبلِ الصدقةِ ليرحلَ عليهِما الآنَ.

ثمَّ قالَ للرجلِ:

- أمَا واللهِ لئنْ تفرَّقَ الناسُ قبلَ أن تُقَسَّمَ الجواهرُ فيهم لأعاقِبُكَ وصاحبَكَ عقابًا شديدًا.

وقبلَ أنْ ينطلقَ الرجلُ قالَ لَهُ:

- أعطِ دابتَى الصدقةِ لأفقرِ رجلٍ عندكم.

وانطلقَ الرجلُ مسرعًا حتَّى وصلَ إلى « سلمةَ »، وأخبرَهُ بما حدثَ،

فأســرعَ «سلمةُ» ونادى فى الناسِ، وأخـبرَهم بأمرِ أميرِ المؤمنينَ، فبـيعَتِ الجواهرُ، وقُسِّمَ ثمنُها بينَ الناسِ.

وأرسلَ « سلمـةُ » إلى أميرِ المؤمنـينَ، فهدأَتْ نفسُهُ، وقـامَ يحمدُ اللـهَ تعالى ويشكرُهُ.

إنَّه « عمرُ بنُ الخطابِ بنِ نفيلِ بنِ عبدِ العزى »، المعروفُ بأبى حفصٍ، والملقَّبُ بالفاروقِ.

وُلِدَ - رضىَ اللهُ عنْهُ - بعدَ عامِ الفيلِ بثـلاثَ عشرةَ سنةً ، وينتسبُ إلى « بنى عدىٍّ » بمـكةَ. تعلَّمَ القراءةَ والكتـابةَ ورعْىَ الغنمِ، ثمَّ عـملَ بالتجـارةِ، وكـانَ - رضىَ اللهُ عنْهُ - شجـاعًا، صاحبَ قوةٍ جسـمانيةٍ عظيمـةٍ وذكاءٍ شديدٍ، فصـيحًا بليغًا، وقد أهَّـلَهُ ذلكَ كلُّهُ أنْ يكونَ سفيـرًا لقريشٍ فى الجاهليةِ وممثلاً لهَا إذا وقعتِ الحربُ بينها وبينَ غيرِها منَ القبائلِ.

ولَمَّا بعثَ اللهُ نبيَّهُ محمدًا ﷺ رسولاً، وقفَ « عمرُ » بادئَ الأمرِ معاديًا للإسلامِ قاسيًا على المسلمينَ، حتَّى إنَّهُ همَّ يومًا بقتلِ النبىِّ ﷺ.

وعلى الرغمِ منْ ذلكَ فـإنَّ النبىَّ كـانَ يعرفُ لعـمرَ مكانتَـهُ وقوةَ شـخصيتـه، ورجاحةَ عقله؛ لذا تمنَّى أنْ يهديَهُ اللهُ إلـى الإسلامِ؛ فدعـا اللهَ قائلاً: « اللهمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطابِ »؛ فأسلمَ فى العامِ السادسِ منَ البعثةِ النبويةِ، بعدَ أنْ قرأَ آياتٍ منَ القرآنِ الكريمِ فى بيتِ أختِهِ « فاطـمةَ » - التى كانَتْ قدْ أسلمَتْ قبلَهُ -، وكانَ عمرُهُ آنذاكَ ثلاثةً وثلاثينَ عامًا.

وما إنْ أسـلمَ « عمـرُ » حتَّى راحَ يعـوِّضُ ما فاتَه، فـقالَ للنبىِّ ﷺ وهـوَ فى دارِ « الأرقمِ بنِ أبى الأرقمِ »: يا رسولَ اللهِ ألسْنا على الحقِّ؟! فقالَ ﷺ: «بلى».

فقالَ « عمرُ »:

ففيمَ الاختفاءُ؟! والذى بعثكَ بالحقِّ لتخرُجنَّ. فسُرَّ النبىُّ منْ كلامِ «عمرَ»، وخرجَ المسلمونَ فى صَفَّينِ - وكانوا أربعينَ رجلا - على الصفِّ الأولِ « حمزةُ » عمُّ النبىِّ، وعلى الثانى « عمرُ » حتَّى دخلوا البيتَ الحرامَ وصلَّوا فيه، ثمَّ جلسوا حولَ الكعبةِ، وظهرَ الإسلامُ فى مكةَ، فأثنى النبىُّ ﷺ على « عمرَ » قائلا:

« إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ، وهو الفاروقُ، فرَّقَ اللهُ بِهِ بينَ الحقِّ والباطلِ ».

وعندَما أذنَ النبىُّ ﷺ بالهجرةِ إلى « المدينةِ » هاجرَ المسلمونَ سرّاً؛ حتَّى لا يمنعَهم الكفارُ - بعدَ أنْ أعلنوا حربًا شرسةً على المسلمينَ -، ولكنَّ « عمرَ » خرجَ للهجرةِ نهارًا، وقد شهرَ سيفَهُ وحملَ قوسَهُ على كتفِهِ وانطلقَ إلى الكعبةِ؛ فطافَ ثمَّ صلَّى ركعتينِ ثمَّ نادَى فى الناسِ:

- منْ أرادَ أنْ تفقدَهُ أمُّهُ، أو يُيَتِّمَ ولدُهُ، أو ترمِّلَ زوجتُهُ، فليلقَنِى وراءَ هذا الوادى؛ فإنِّى مهاجرٌ.

ثمَّ رحلَ فما تبعَهُ أحدٌ.

وفى « المدينةِ المنورة » أخذَ النبىُّ ﷺ فى بناءِ قواعدِ الدولةِ الإسلاميةِ الوليدة، و« عمرُ » بجوارِهِ - معَ غيرِهِ منْ كبارِ الصحابةِ - يشدُّ منْ أزرِهِ، ويعاونُهُ ويجاهدُ بنفسِهِ ومالِهِ.

ولمَّا كانَ « عمرُ » سديدَ الرأيِ، قوىَّ الإيمانِ، يبتغِى رضاءَ اللهِ - تعالى - ورسولِهِ؛ اتخذَهُ النبىُّ ﷺ مع « أبى بكرٍ » وزيرينِ يستشيرُهما فى أمورِ المسلمينَ، ويُثنِى عليهما قائلا:

- « وزيراى منْ أهلِ السماءِ جبريلُ وميكائيلُ، ووزيراى منْ أهلِ الأرضِ أبو بكرٍ وعمرُ ».

وشهدَ « عمرُ » غزواتِ الرسولِ كلَّهَا، وخرجَ فى عدةِ سرايا أميرًا عليهَا.

وبعدَ جهادٍ دامَ معَ النبيِّ ﷺ أكثرَ منْ خمسةَ عشرَ عامًا لحقَ النبيُّ بالرفيقِ الأعلى بعدَ أنْ بشَّرَهُ بالجنةِ قائلا:

« دخلتُ الجنةَ فرأيتُ قصرًا منْ ذهبٍ فقلتُ: لمنْ هذا؟.. فقيلَ لعمرَ بنِ الخطابِ».

وبعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ اختارَ المسلمونَ « أبا بكرٍ » خليفةً، فكانَ « عمرُ » أولَ منْ بايعَهُ، ثمَّ تبعَهُ الناسُ، وظلَّ « عمرُ » بجوارِ « الصديقِ »، يعاونُهُ فى مهامِّ الخلافةِ، وتولَّى القضاءَ، وبيتَ المالِ، وكانَ « الصديقُ » لا يقضى أمرًا إلا بعدَ استشارتِهِ.

وعندَما مرضَ « الصديقُ »، وشعرَ بدنوِّ أجلِهِ، فكَّرَ فيمنْ يخلفُهُ فى المسلمينَ؛ فرأى أنَّ « عمرَ » هو أقدرُ الصحابةِ على تحمُّلِ الأمانةِ؛ فدعا كبارَ الصحابةِ،



وأخبرَهم بما عزمَ عليهِ؛ فأثنوا على « عمرَ »، فخاطَبَ « الصديقُ » الناسَ وهم مجتمعونَ فى المسجدِ قائلاً:

- أترضونَ بمن أستخلفُ عليكم؟ إنِّى وليتُ « عمرَ ».

فأجابوا بالموافقةِ؛ فدعا « عثمانَ بنَ عفانَ » وأملاهُ كتابًا باستخلافِ «عمرَ » .

وتُوفِّى « أبو بكرٍ » فى جمادى الآخرةِ سنةَ (١٣ هـ)، وتولَّى « عمرُ » تجهيزَهُ ودفنَهُ، ثمَّ قامَ فى الناسِ خطيبًا ليبيِّنَ لهم سياستَهُ فى الحكمِ، فأخبرَهم أنَّهُ يعدُّ الخلافةَ أمانةً واختباراً منَ الله، وأنَّهُ سيقومُ برعايةِ أهلِ « المدينة » ومَنْ حولَها منَ البلادِ القريبةِ، أمَّا البلادُ البعيدةُ فإنَّهُ سيولِّى عليها أهلَ القوةِ والأمانةِ، ثمَّ إنَّ المحسنَ لهُ ثوابُهُ والمسىءُ لَهُ عقابُهُ.

ولَمَّا كانَ « عمرُ » - رضىَ اللهُ عنْهُ - تاجرًا يأكلُ منْ تجارتِهِ؛ رأى أنْ يتفرغَ لمهامِّ الخلافةِ، ولما سألَهُ الناسُ عنْ حقِّهِ (راتبه) فى بيتِ مالِ المسلمينَ قالَ:

- يحلُّ لى ثوبانِ: ثوبٌ فى الشتاءِ وثوبٌ فى الصيفِ، وطعامِى كطعامِ رجلٍ منْ قريشٍ، ليسَ بأغناهُم ولا بأفقرِهِم، ثمَّ إنِّى رجلٌ منَ المسلمينَ يصيبُنى ما يصيبُهم.

بدأَ « عمرُ » خلافتَهُ بترغيبِ الناسِ فى الجهادِ فى بلادِ فارسَ - بعدَ أنْ نقضَ الفرسُ عهودَهم وآذَوُا المسلمينَ - فقامَ الناسُ إليه، وكانَ أسرعَهم إجابةً « أبو عبيد ابن مسعود »، فولاهُ « عمرُ » قيادةَ الجيشِ، ثمَّ تبعَهُ جيشٌ آخرُ بقيادةِ « عبدِ اللهِ البجلىِّ »، وتتابعتِ الجيوشُ إلى « العراقِ ».

وهكذا خرجَ الجيشُ الإسلامىُّ وروحُ الفتوحاتِ تشتعلُ فى صدرِهِ؛ لنشرِ الإسلامِ وسحقِ الشركِ والظلامِ.

وتجمَّعَ الفرسُ وتعاهدوا على قتالِ المسلمينَ وطردِهم منَ « العراقِ »، فكتبَ « المثنَّى بنُ حارثةَ » قائدُ جيوشِ المسلمينَ إلى « عمرَ » يطلعُهُ على الموقفِ، فقدَّرَ « عمرُ » خطورةَ الأمرِ؛ فأمرَ « المثنَّى » أنْ يرغِّبَ مَنْ حولَهُ منَ الناسِ



فى الجهادِ، ثم دعا المسلمينَ فى البلادِ إلى الجهادِ؛ فلبَّى المسلمونَ النداءَ وجاءوا من كلِّ مكانٍ إلى «المدينةِ»، وأرادَ « عمرُ » أنْ يقودَ هذهِ القواتِ بنفسِهِ، فأشارَ عليهِ الصحابةُ أنْ يظلَّ هوَ بالمدينةِ ينظِّمُ الجيوشَ ويتابعُ المعاركَ، وأنْ يعهدَ بقيادةِ هذا الجيشِ إلى «سعدِ بنِ أبى وقاصٍ»، فوافقَ «عمرُ».

وسارَ « سعدٌ » إلى « العراقِ » ودارَتْ بينَهُ وبينَ الفرسِ عندَ «القادسيةِ» معاركُ عنيفةٌ، أبلى فيها المسلمونَ بلاءً حسنًا، وظهرَتِ البطولاتُ، وقاتلَ المسلمونَ قتالَ الشجعانِ حتى انتهتِ المعركةُ بهزيمةٍ ساحقةٍ للفرسِ.

ثمَّ كتبَ « عمرُ » إلى « سعدٍ » يأمرُهُ بمواصلةِ الفتوحاتِ؛ فانطلقَ المسلمونَ إلى بلادِ فارسٍ ينشرونَ نورَ الإسلامِ، ففتحوا « المدائنَ » عاصمةَ دولةِ الفرسِ، ثمَّ تحققَ فتحُ الفتوحِ (نهاوند) وفُتِحَتْ كبرى المدنِ الفارسيةِ، كأصبهانَ، و« أذربيجانَ »، و«خراسانَ »، وانتشرَ الإسلامُ فى بلادِ فارسٍ.

وفى بلادِ « الشامِ » انطلقتِ الجيوشُ الإسلاميةُ بقيادةِ « أبى عبيدةَ بنِ الجراحِ »، بعدَ معركةِ « اليرموكِ » تحرَّرُ الناسَ من عبادةِ البشرِ إلى عبادةِ ربِّ البشرِ، ومن ظلمِ

الجاهليةِ إلى عدلِ الإسلامِ، فَفُتِحَتْ « دمشقُ » و« حمصُ »، و« حلبُ »، وسواحلُ بلادِ « الشام »، وباقى المدنِ الشاميةِ.

وفى ربيعِ الآخرِ سنةَ (١٦ هـ) فُتِحَتْ مدينة « القدسَ »، وذهبَ « عمرُ » بنفسهِ ليوقعَ الصلحَ بينَ المسلمينَ وأهلِ المدينةِ، ويُروى أنَّ « عمرَ » سافرَ إلى « الشامِ » بمفردِه، راكبًا دابتَهُ، وليسَ على رأسهِ عمامة، ولما عرضَتْ لهُ بركةُ ماءٍ نزلَ عن دابتِه، وأمسكَ حذاءَهُ بيدِه، وخاضَ الماءَ ومعهُ دابتُهُ.

وعظمَ فى أعينِ قادةِ جيوشِه أنْ يدخلَ « عمرُ » « الشامَ » على تلكَ الهيئةِ، فكلمَهُ « أبو عبيدةَ » فى ذلكَ، ولكنَّ الذى اختارَ الآخرةَ وزهدَ فى مفاتنِ الدنيا وعزمَ على أنْ يلحقَ بصاحبيه « محمدٍ » ﷺ و« أبى بكرٍ » أجابَهُ:

- « إنَّكم كنتُمْ أذلَّ الناسِ، وأحقرَ الناسِ، وأقلَّ الناسِ، فأعزَّكُمُ اللهُ بالإسلامِ، فمهما تطلبوا العزَّ بغيرِهِ يذلَّكم اللهُ ».

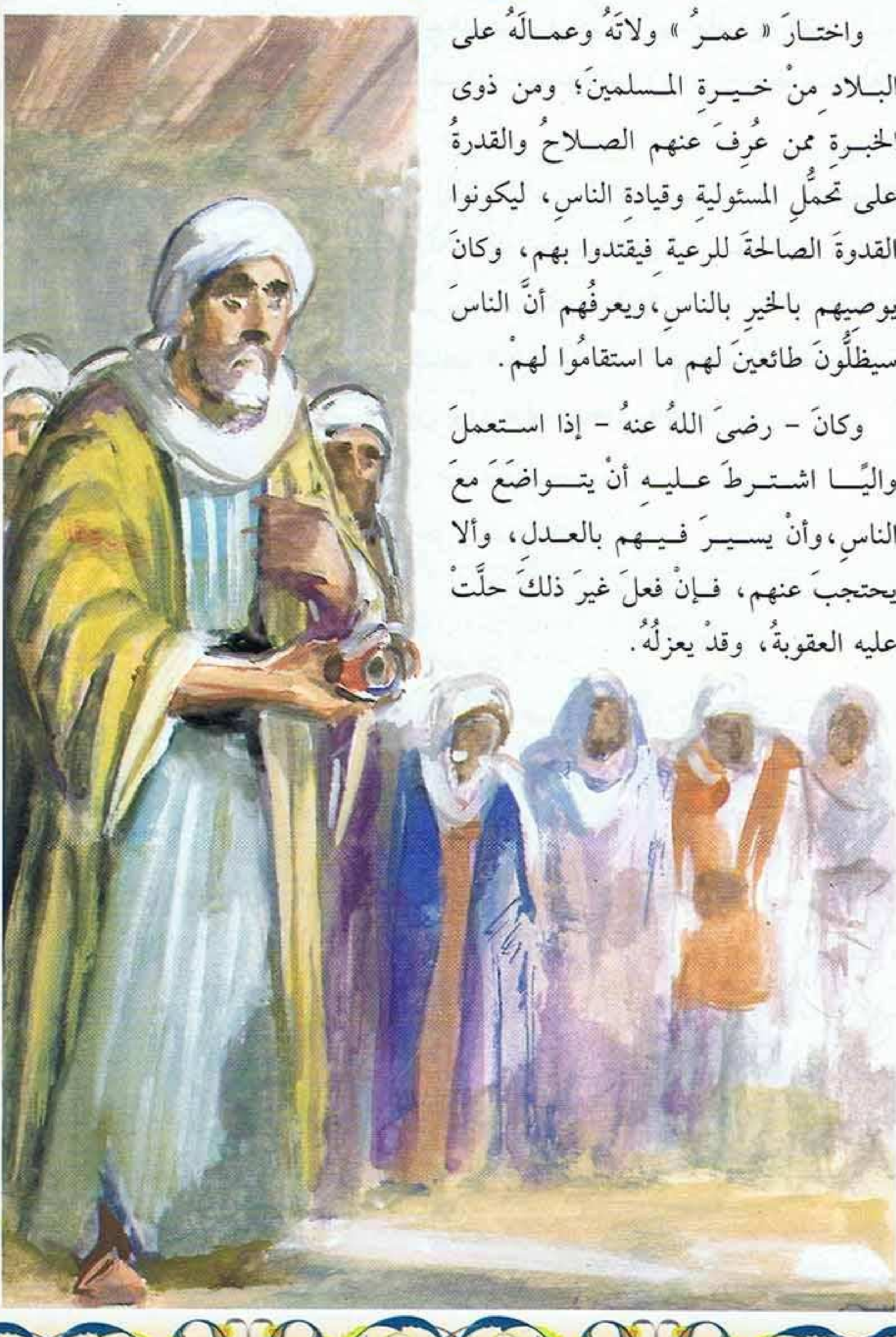
وعندَ مدينةِ « الرملةِ » جاءَ ممثلُ « القدسِ » ومعهُ أعيانُ المدينةِ؛ فصالحَهُم « عمرُ »، وأمنَهم على أنفسِهِم وأموالِهم وكنائسِهم، وأمرَ أنْ لا يُكرَهَ إنسانٌ على تركِ دينِهِ، وعلى أهلِ القدسِ الجزيةُ، وكتبَ بذلكَ وثيقةً تشهدُ على عدلِ الإسلامِ وعظمتِهِ، ورحمتِه بالناسِ جميعِهم.

ثم أمرَ « عمرُ » « عَمْرَو بنَ العاصِ » أن يتوجَّهَ إلى « مصرَ » لفتحِها، فخرجَ « عمرُو » إلى أهلِ مصرَ ليخلصَهم من ظلمِ الرومانِ وبطشِهم، وتابعَهُ « عمرُ » فأرسلَ إليهِ الإمداداتِ حتَّى فُتِحَتْ « مصرُ » وبلادُ « النوبةِ » و« برقةُ » و« طرابلسُ ».

وفى « المدينةِ المنورةِ » عاصمةِ الخلافةِ أقامَ « عمرُ » حكمًا قائمًا على الشورى، فاختارَ مجموعةً منْ كبارِ الصحابةِ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ وفضلاءِ العربِ يستشيرُهم، ولا يقطعُ أمرًا دونَ مشورتِهم.

واختارَ « عمرُ » ولاتَهُ وعمالَهُ على البلادِ منْ خيرةِ المسلمينَ؛ ومن ذوى الخبرةِ ممن عُرِفَ عنهم الصلاحُ والقدرةُ على تحمُّلِ المسئوليةِ وقيادةِ الناسِ، ليكونوا القدوةَ الصالحةَ للرعيةِ فيقتدوا بهم، وكانَ يوصيهم بالخيرِ بالناسِ، ويعرفُهم أنَّ الناسَ سيظلُّونَ طائعينَ لهم ما استقامُوا لهمْ.

وكانَ - رضىَ اللهُ عنهُ - إذا استعملَ واليًا اشترطَ عليهِ أنْ يتواضَعَ معَ الناسِ، وأنْ يسيرَ فيهم بالعدلِ، وألا يحتجبَ عنهم، فإنْ فعلَ غيرَ ذلكَ حلَّتْ عليه العقوبةُ، وقدْ يعزلُهُ.



كما كانَ يكتبُ ثروةَ الوالى عندَ تولِّيه المنصبَ؛ حتَّى لا يستغلَّهُ فى جمعِ المالِ، والمنفعة الشخصيةِ، فإذا وجدَ أنَّ مالَهُ قَدْ زادَ عندَ نهايةِ ولايتِهِ؛ أخذَ نصفَ مالِهِ، وضمَّهُ إلى بيتِ مالِ المسلمين.

وكانَ يكتبُ إلى الولاةِ يأمرُهم بعدمِ إذلالِ الناسِ، أو ضربِهم، وجعلَ «عمرُ» منْ موسمِ الحجِّ مؤتمرًا لمحاسبةِ عمَّالِه، فكانَ إذا اجتمعَ الناسُ قالَ لهم:

- إنِّى لم أستعملْ عليكم عمالى ليضربوا أجسادكم، وليشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكنِ استعملتُهم ليعلموكم كتابَ الله وسنةَ نبيِّه، فمنْ ظلمَهُ عاملُهُ بمظلمةٍ فلا إذنَ لهُ علىَّ، ليرفعْهَا إلىَّ حتَّى أقتصَّ منْهُ. فوقفَ رجلٌ وقالَ:

- يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ عاملَكَ ضربَنى مائةَ سوطٍ بغيرِ حقٍّ.

فسألَ «عمرُ» عاملَهُ، فتبيَّنَ لهُ أنَّ الرجلَ ظُلِمَ؛ فقالَ:

- قمْ يا رجلُ فاقتصَّ منهُ.

وأعطاه السوطَ، فقالَ والى مصرَ «عمرُو بنُ العاصِ»:

- يا أميرَ المؤمنينَ إنَّكَ إنْ فعلتَ ذلكَ يكثرْ عليكَ الناسُ، وتكونُ سنةً يأخذُ بها مَنْ بعدَكَ.

فأجابَهُ «عمرُ»:

- لابدَّ منَ القصاصِ، فقد رأيتُ النبىَّ ﷺ يقتصُّ منْ نفسِهِ.

فاستأذَنَ الولاةُ «عمرَ» أنْ يُرْضُوا الرجلَ، فقاموا إلى الرجلِ واعتذروا لَهُ وأعطوْهُ مائتى درهمٍ تعويضًا؛ فقبلَ اعتذارَهم، ورضىَ «عمرُ»، وعَلِمَ الناسُ أنَّ أميرَ المؤمنينَ لا يرضَى أنْ يُظلَمَ فى البلادِ أحدٌ منْ رعيتِهِ.

ولم يكنْ «عمرُ» يكتفى بذلكَ؛ بلْ كانَ يرسلُ مبعوثَهُ الخاصَّ «محمدَ بنَ مسلمةَ» إلى البلدانِ المختلفةِ يتفقدُ أحوالَ الناسِ، ويسألُهم عنْ واليهم، وكيفَ يعاملُهم، ثمَّ يبلِّغُ «عمرَ»، فإذا عَلِمَ أنَّ عاملَه حريصٌ على رعايةِ الناسِ ويحسنُ تصريفَ شئونِ البلادِ، فرحَ بذلكَ وأبقاهُ، وإلا عزلَهُ.

وكانَ «عمرُ» كواحدٍ منَ المسلمينَ، يأكلُ ممَّا يأكلونَ ويلبسُ مثلَ ما يلبسونَ، ولا يستأثرُ لنفسِهِ بشىءٍ عنْ رعيتِهِ؛ حتَّى يُروَى أنَّهُ جاءَتْ إليهِ يومًا أقمشةٌ يمنيةٌ فقامَ ففرقَهَا بينَ الناسِ، فخرجَ من نصيبِ كلِّ مسلمٍ قطعةُ قماشٍ تكفى لثوبٍ واحدٍ، وكانَ نصيبُ «عمر» كغيرِه، وفى اليومِ التالى وقفَ على المنبرِ وعليهِ ثيابُهُ الجديدةُ، ليرغِّبَ الناسَ فى الفتحِ ونشرِ الإسلامِ فقامَ إليهِ رجلٌ وقالَ:

- لا سمعَ ولا طاعةَ يا أميرَ المؤمنينَ.

فلم يغضبْ «عمرُ»، وخاطبَ الرجلَ فى هدوءٍ:

- ولِمَ ذلكَ؟!!

- لأنكَ استأثرتَ علينا؛ لقدْ خرجَ بالأمسِ نصيبُكَ منَ الأقمشةِ قطعةً واحدةً، وأنتَ رجلٌ طويلٌ لا تكفيكَ قطعةُ القماشِ لتفصيلِ ثوبٍ، فكيفَ فصَّلْتَهُ؟

فالتفتَ «عمرُ» إلى ابنِهِ قائلاً:

- أجبْهُ يا «عبدَ اللهِ».

فقالَ «عبدُ اللهِ»: لقدْ أعطيتُهُ نصيبى فأتمَّ ثوبَهُ.

فقالَ الرجلُ: أمَّا الآنَ فالسمعُ والطاعةُ.

وكانَ - رضىَ اللهُ عنهُ - مضربَ المثلِ بينَ الناسِ فى عدلِهِ ومساواتِهِ بينَ الناسِ، فعندَمَا ضربَ الأميرُ الغسانىُّ «جبلةُ بنُ الأيهمِ» رجلاً منَ المسلمينَ على وجهِهِ بدونِ حقٍّ، أصرَّ «عمرُ» على القصاصِ منهُ، ولم ينقذْهُ إلا هروبُهُ إلى بلادِ الرومِ.

وضربَ «عمرُ» «محمدَ بنَ عمروِ بنِ العاصِ» عندَمَا شكاهُ أحدُ المصريينَ، وكادَ يضربُ «عَمْرًا» نفسَهُ؛ لأنَّهُ مسئولٌ عنْ ظلمِ ابنِهِ، لولا أنَّ الرجلَ المصرىَّ عفا عنهُ، وقالَ «عمرُ» قولَتَهُ المشهورةَ:

- «متَى استعبدتُمُ الناسَ وقدْ ولدَتْهم أمهاتُهم أحراراً».

ثمَّ قالَ:

- «أيُّ عاملٍ ظلمَ أحداً فبلغتْنِي مظلمتُهُ فلم أغيِّرْها فأنا ظلمتُهُ».

وكانَ «عمرُ» إذا نهَى المسلمينَ عنْ شيء جمعَ أهلَهُ وقالَ لهُم:

- إنِّي نهيتُ الناسَ عنْ كذا وكـذا، وإنَّ الناسَ ينظرونَ إليكم، وأقسمُ باللهِ لوْ أنَّ أحداً منكمْ فعلَهُ لأضعفتُ عليهِ العقوبةَ.



وأخذَ «عمرُ» نفسَهُ بالشدة؛ فـأكلَ الخشنَ منَ الطعامِ، ولبسَ الخشنَ منَ الثيابِ، وكانَ شـديدًا فى محاسـبةِ نفـسِه؛ حتَّى كلَّمَـهُ الصحابةُ فى ذلكَ، فـشكرَهم على نصيحـتِهم وبيَّنَ لهمْ أنَّهُ لا يُلزِمُ أحدًا بهـذهِ الشـدةِ ، ولكنَّهُ يريدُ أنْ يلحـقَ بالنبىِّ و«أبى بكرٍ» فى المنزلةِ يومَ القيامةِ.

وضربَ «عمرُ» المثلَ الأعلَى للحاكمِ الذى يُولِى رعيـتَه كلَّ اهتمامِه، فكانَ يسألُ عنْ أحوالِ الناسِ، ويتفقدُهم، ويطوفُ فى الأسواقِ، ويسألُ عنِ الأسعارِ، وينتقلُ بينَ القبائلِ يعطِى الناسَ رواتبَـهم، ويسيرُ فى الطرقـاتِ ليلا ونهـارًا، رآه يومًا أحـدُ الصحابةِ يدخلُ بيتًا، فذهبَ فى الصباحِ ليرى منْ فى البيتِ، فإذا عجوزٌ عمياءُ مقعدةٌ يتعهدُها «عمرُ» بالرعايةِ، ويقومُ على قضاءِ حوائجِها سرًا.

وكانَ «عـمرُ» منْ أرقِّ الناسِ قلبًا، وأكـثرِهم رأفـةً ورحمةً بالناسِ، مـرَّ يومًا فى السوقِ، ومعَـهُ الدِّرةُ، يتفقدُ أحوالَ الناسِ، فوجـدَ رجلا يقفُ فى عرضِ الطريقِ، فضربَهُ بالدرةِ ضربةً خفيفةً أصابتْ طرفَ ثوبِ الرجلِ، فلمَّا عادَ إلى بيتِه أخذَهُ الندمُ الشديدُ؛ لأنهُ أساءَ إلى مسلمٍ، وتمنَّى أنْ يراهُ ثانيةً؛ ليعتذرَ إليهِ ويطلبَ عفوَهُ، وبعدَ عامٍ لَقِىَ «عمرُ» الرجلَ؛ ففرحَ وأخذَ بيدِهِ قائلا لهُ:

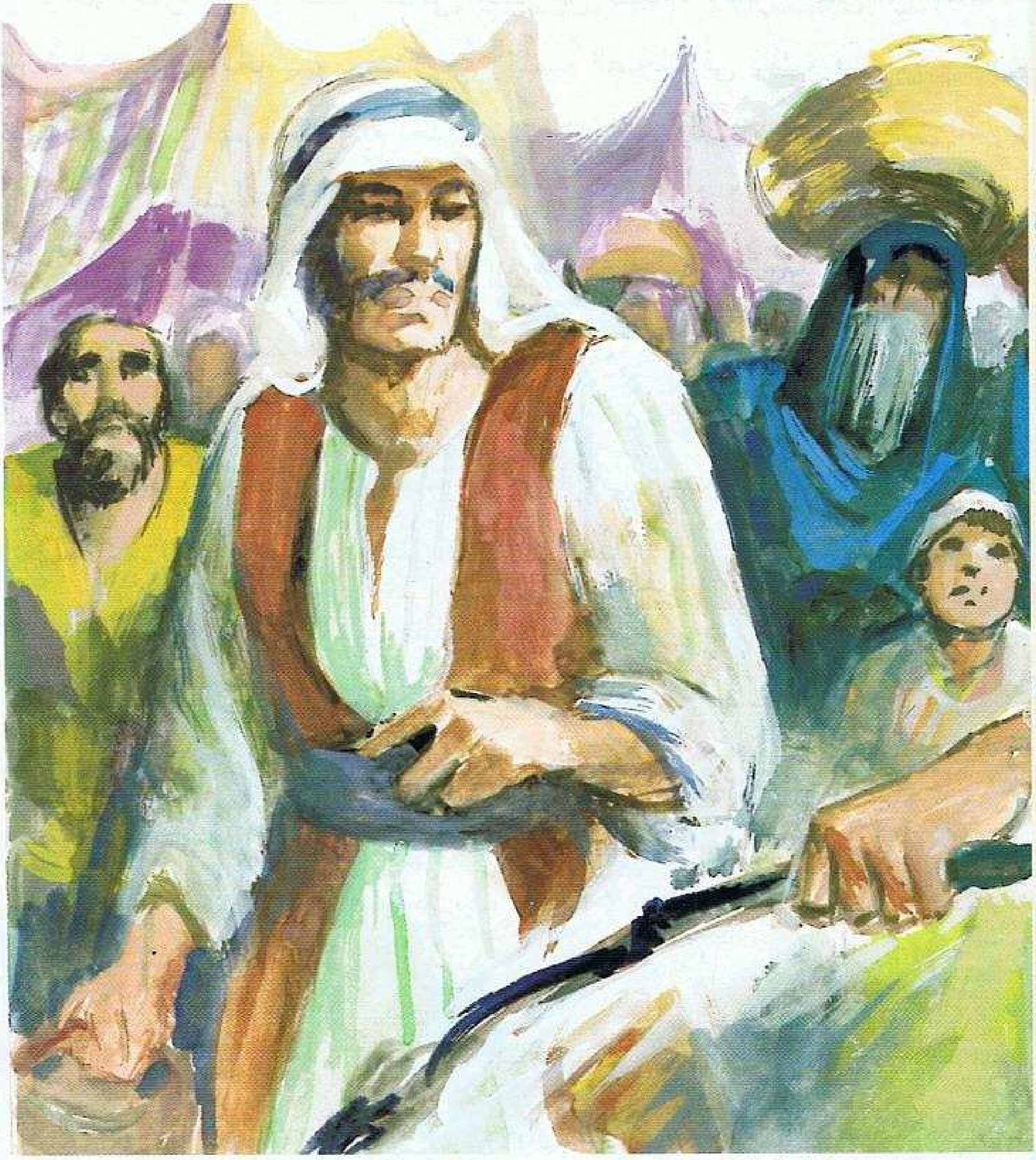
- تريدُ الحجَّ.

- نعم يا أميرَ المؤمنينَ.

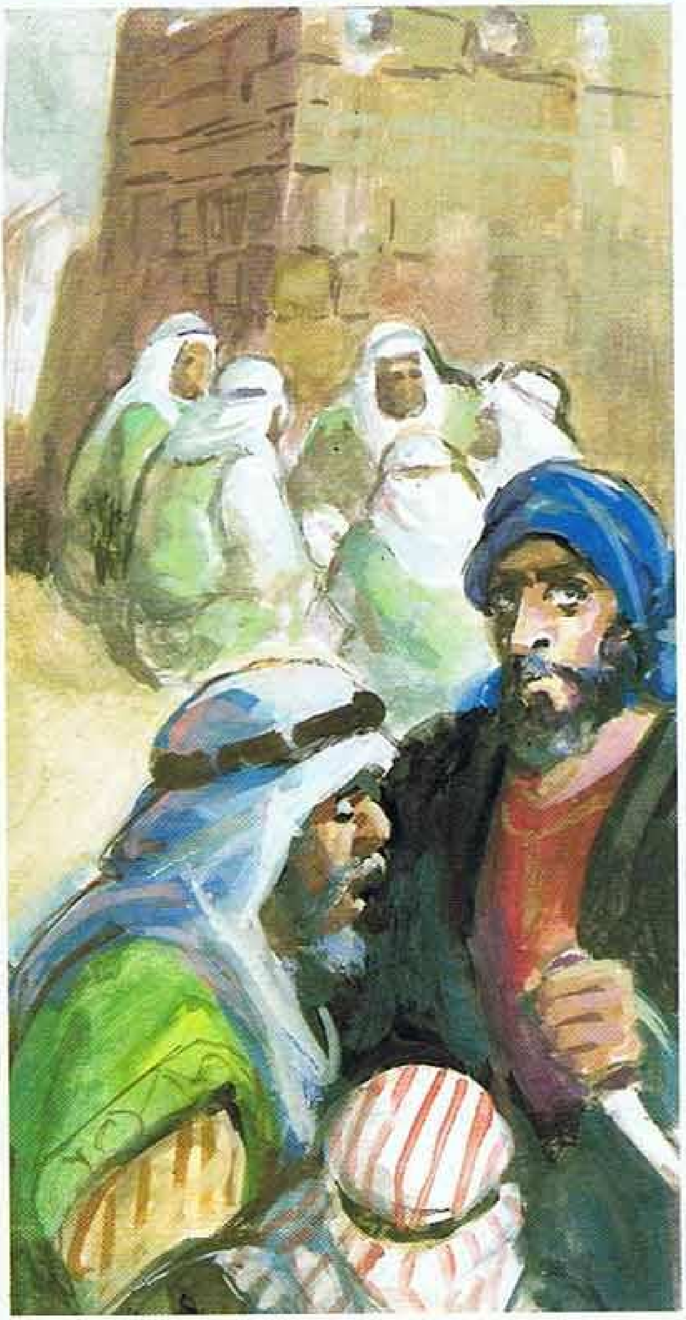
فأخذَ الرجلَ وانطلقَ إلى منزلِه وأعطاهُ (٦٠٠ درهم) مـن مالِه الخاصِّ وقالَ لَهُ: اسـتعِنْ بها على حجِّـكَ، واعلمْ أنَّها بالضربةِ التى ضربتُكَ إياهَا العامَ الماضِى.

فقالُ الرجـلُ: يا أميرَ المؤمنينَ، واللهِ ما ذكرتُها، لقد نسيتُها.

فقالَ عمرُ: وأنا واللهِ ما نسيتُها.



أصبحتِ الدولةُ الإسلاميةُ فى عهدِ «عمرَ» - رضىَ اللهُ عنهُ - دولةً عظيمةً مترامِيةَ الأطرافِ، نعمَتْ بالرخاءِ والازدهارِ، وأنشأ «عمرُ» الدواوينَ، والبريدَ، ونظَّمَ الفىءَ، وأمرَ ببناءِ مدنٍ جديدةٍ مثلَ: «الكوفةِ» و«البصرةِ» و«الفسطَاطِ»، وجعلَ لكلِّ قُطْرٍ واليًا وعاملا للصدقاتِ، وقاضيًا، ووضعَ للقضاءِ شروطًا دقيقةً، مثلَ:



العلمِ بالقرآنِ والسنةِ، والعدالةِ وعدمِ المجاملةِ.

وكانَ «عمرُ» دائمَ التفكيرِ فى رعيتِهِ وفى عظمِ مسئوليتِهِ أمامَ ربِّهِ يومَ القيامةِ؛ ولذا قالَ لمنْ حولَهُ:

- «لئن عشتُ إنْ شاءَ اللهُ لأسيرنَّ فى الرعيةِ عامًا، فإنِّى أعلمُ أنَّ للناسِ حوائجَ تُقطعُ دونِى، وأمَّا عمَّالُهم فلا يرفعونَها إلىَّ، وأمَّا هم فلا يصلونَ إلىَّ، فأسيرُ إلى الشامِ فأقيمُ بها شهرينِ، ثمَّ أسيرُ إلى الجزيرةِ (العراقِ) فأقيمُ بها شهرينِ، ثمَّ أسيرُ إلى مصرَ فأقيمُ بها شهرينِ، ثمَّ أسيرُ إلى...».

واشتدَّ غيظُ الكفارِ والمنافقينَ، وزادَ حقدُهم وهم يرونَ دولةَ الإسلامِ شامخةً قد عمَّ الرخاءُ أرجاءَها، وجيوشُها تنتقلُ كلَّ يومٍ من فتحٍ إلى فتحٍ، فيزدادُ الإسلامُ قوةً وانتشارًا، ففكروا فى مؤامرةٍ لقتلِ أميرِ المؤمنينَ «عمرَ» فاجتمعَ ثلاثةٌ منَ الموالى هم: «الهرمزانُ» الفارسىُّ، و«جُفينةُ» النصرانىُّ، و«أبو لؤلؤة» المجوسىُّ الذى قامَ بالتنفيذِ.

فـقد اسـتغلَّ «أبو لؤلؤةَ» انشـغالَ «عـمرَ» - رضىَ الـلهُ عنهُ - بتنظيمِ صفـوفِ المسلمينَ فى صلاةِ الفجـرِ فوقفَ خلفَهُ، وبمجردِ أنْ كبَّرَ «عمـرُ» للصلاةِ؛ تقدمَ «أبو لؤلؤةَ» وطعنَهُ بخنجرٍ، وراحَ يطعنُ كلَّ منِ اعـترضَهُ منَ المسلمينَ؛ حتَّى قتَلَ سـبعةً وأصابَ سـتـةً، وبعدَ ذلكَ ألقَى عليهِ أحدُ المسلمينَ ثوبًـا أسودَ فوقعَ على الأرضِ، فطعنَ نفسَهُ بالخنجرِ.

وسقطَ «عـمرُ» فأخذَ بيـدِ «عبدِ الرحـمنِ بنِ عوفٍ» ليصلِّيَ بالناسِ، وقـامَ إليهِ جماعةٌ منَ المسلمينَ فحملوهُ حتَّى أدخلوهُ بيـتَهُ وهوَ مغشىٌّ عليهِ ينزفُ جرحُهُ، فلمَّا تنبَّهَ سألَ: أصلَّى الناسُ؟ فقالوا: نعم. فقالَ رضىَ اللهُ عنهُ:

- لا إسـلامَ لمنْ تركَ الصـلاةَ، ثمَّ دعـا بماءٍ فتـوضـأَ وصلَّى ودمـاؤُهُ تنزفُ من جرحِهِ، ثمَّ سألَ عمَّنْ طعنَهُ فقالوا: «أبو لؤلؤةَ» المجوسىُّ. فقالَ:

- «الحمدُ للهِ الذى لم يجعلْ منيتِى (وفاتى) بيدِ رجلٍ يدَّعِى الإسلامَ».

ثمَّ جعلَ «عمرُ» الخلافةَ شـورَى فى الستة الذينَ تُوفِّىَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ، ورأى «عـمرُ» أنَّ هؤلاءِ السـتـةَ أحقُّ الناسِ بهذا الأمـرِ، وهمْ: «عـثمـانُ» و«علىٌّ» و«عـبدُ الرحمنِ بـنُ عوفٍ» و«الزبيرُ بـنُ العوامِ» و«طلحـةُ بنُ عبيـدِ اللهِ» و«سعدُ بنُ أبى وقاصٍ».

ثمَّ أرسلَ إلى أمِّ المؤمنينَ «عائشةَ» يقرئُها السلامَ ويستأذنُها أنْ يُدفنَ معَ صاحبَيْهِ، فأذنَتْ لَهُ؛ فـسعدَ بذلكَ وظلَّ يردِّدُ ﴿وكـانَ أمرُ الله قدراً مـقدوراً﴾، وأوصَى مَنْ حـولَهُ قائلاً: «أوصـيكُم بكتـابِ اللهِ فإنَّهُ لنْ تضلُّوا مـا اتبـعتُـمُوهُ.. وأوصـيكُمْ بالمهاجرينَ.. والأنصارِ.. والأعرابِ.. وأهلِ الذمةِ».

وفى يومِ الأحدِ صبيحةَ هلالِ شـهرِ المحرمِ سنة (٢٤ هـ) حُمِلَ «الفاروقُ» ليدفنَ بجوارِ النبىِّ ﷺ و«أبى بكرٍ» بعدَ أنْ ملأَ الأرضَ رحمةً وعدلا.

"عظماء خالدون"

سلسلة تعرض لجوانب مضيئة فى حياة الخلفاء المسلمين الذين أدوا دورًا بارزًا فى تاريخ الإسلام ، مع إبراز الجوانب الحضارية فى عهودهم ؛ كالاهتمام بالرعية ، واحترام العلماء ، والعناية بالعلم والعمران ، وحب الجهاد ، وإعلاء كلمة الله ، وغيرها من الجوانب المشرقة فى حياتهم.

عناوين السلسلة :

- أبو بكر الصديق.
- عمر بن الخطاب.
- عثمان بن عفان.
- على بن أبى طالب.
- عمر بن عبد العزيز.

سفير ٥ ش جزيرة العرب ـ المهندسين ـ القاهرة ـ ص.ب : (٤٢٥) الدقى
فاكس : ٣٤٨٠٢٩٩ - ت : ٣٤٩٤١٣٩ / ٣٣٥٣٧١١ / ٣٣٥٣٧١٢ / ٣٣٧٩٧٥٢